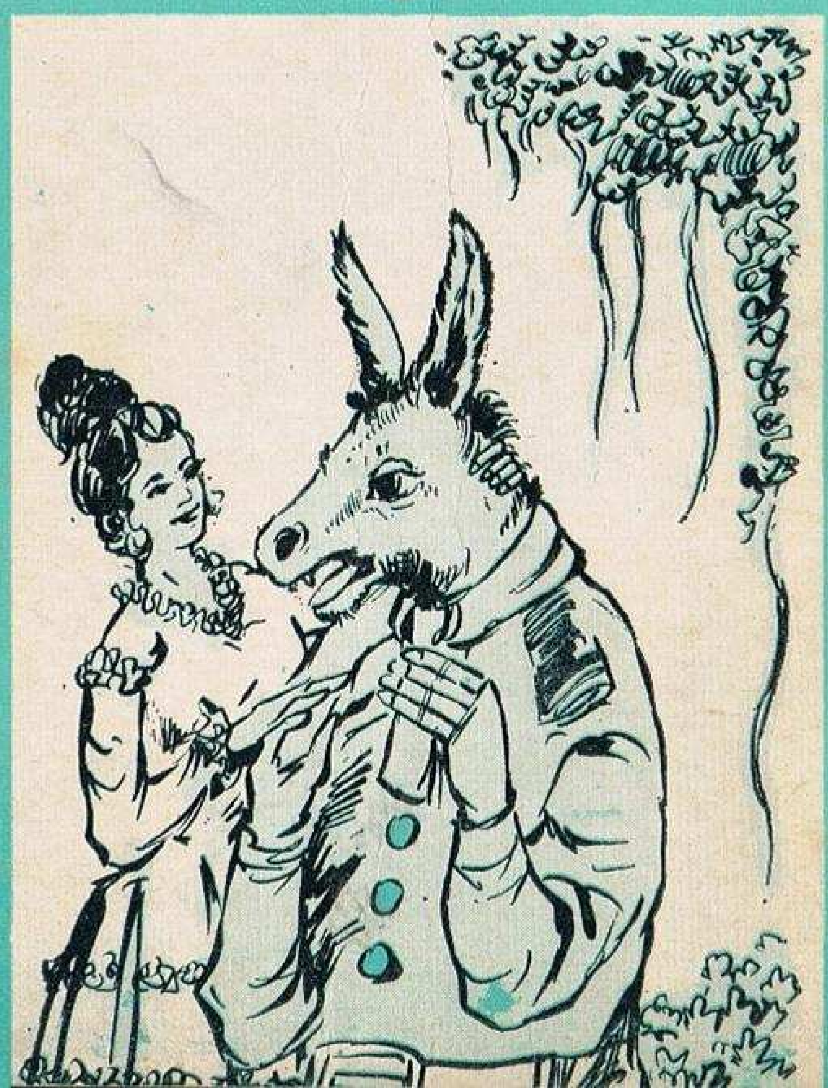


حلم ليل من الصيف



منشورات مكتبة سمير

بيروت - شارع غورو - هاتف : ٢٢٦٠٨٥

✻

من قصص شكسبير

الليلة الثانية عشرة	الملك لير
تاجر البندقية	كما تهوى
مكبث	هملت
العاصفة	حكايات الشتاء
يوليوس قيصر	روميو وجوليت
حلم ليل من الصيف	كوميديا الغلط



حلم ليلة من الصيف

تأليف

م. صوايا

منشورات مكتبة سمير
بيروت. شارع غورو. هاتف: ٢٢٦٠٨٥

الطبعة الأولى – ١٩٦٨

وليم شكسبير

– حياته –

ولد وليم شكسبير من أبوين من الطبقة الوسطى في ستراتفورد – آفون . وهي مدينة تجارية على بعض أهمية ، وكان مولده بين الرابع والعشرين من نيسان ١٥٦٣ او الثالث والعشرين منه ١٥٦٤ . وكان والداه مواطنين من وارويكشير . إنّ اباه جان شكسبير الذي كان عمله الرئيسي صناعة القفازات – الكفوف – تقدّم في حياته المدنية وصار عمدة بلدته في سنة ١٥٦٥ ثمّ صار شريف مقاطعة سنة ١٥٦٨ لكنّ الحظّ لم يحالفه طويلاً فما لبث أن تأخرت أحواله . وأمّه هي ماري آردن .

تَلقّى شكسبير علمه في مدرسة الملك ادوارد السادس –

ستراتفورد ؛ حيث لا بُدَّ أنه أخذ نصيباً وافياً من اللاتينية ؛ وقد يكون تعلّمَ النزر من اليونانية أيضاً ، في سنة ١٥٨٢ تزوج آن هاثواي ؛ ونصّرت ابنته الاولى سوسنة في نوار ١٥٨٣ وقد تبعها توأمان في شباط ١٥٨٥ هما همنت وجوديت . وتوفيت اليصابات ابنة سوسنة حفيدة الشاعر ١٦٧٠ وكانت آخر حفيدة من سلالته مباشرة .

ليس لدينا معلومات ثابتة عن حياة شكسبير في الفترة الواقعة بين ١٥٨٤ و ١٥٩٢ . غير أن هنالك رواية تقول انه اقدم على سرقة غزال من حديقة السيد ت. لوسي شارلكوت . نحن نعلم ان شكسبير كان في لندن في تلك السنة لكن في ذلك الوقت الذي غشي فيه ذلك المكان . ولكنَّ شكسبير في تلك الفترة من الزمن راح يختزن

المعارف المتنوعة ويجتني من الخبرة الحظّ الوافر فوقعنا على هذه الثمار الناضجة في رواياته .

يؤخذ من أقوال العاكفين على دراسة حياة شكسبير أنه كان قد برز منافساً شديد المراس لأهل الحذق من الجامعيين نظير : مارلو ، وبيل ، وناش ، ولودج في ايلول من سنة ١٥٩٢ . وفي السنين التي أغلق فيها المسرح لانتشار وباء الطاعون ، انصرف شكسبير الى نظم أشعاره في فينوس وأدونيس (١٥٩٣) ولوفريس (١٥٩٤) . وقد أهدى هاتين المنظومتين الى ارل سوثمتون .

في أذار سنة ١٥٩٥ صار شكسبيراً مشاركاً في فرقة اللورد تشمبرلن التمثيلية وتقاسم هو وفرقة الادميرال ادارة مسرح لندن من سنة ١٥٩٤ الى ١٦٠٣ . ولهذه

الفرقة التي أصبحت فرقة الملك ، تبين أن شكسبير خصها برواياته التي انكبّ على تأليفها حتى آخر سيرته في الكتابة . وبعد سنة ١٥٩٩ غدت معظم رواياته تُمثل على « المسرح الكروي . »

أما مقطوعاته الشعرية فالراجح أنه نظمها بين سنة ١٥٩٥ وسنة ١٦٠٠ ، لكنها لم تنشر الا في سنة ١٦٠٩ .

في سنة ١٥٩٦ حصل شكسبير على اجازة سلاح ؛ وفي سنة ١٥٩٧ اشترى مقاماً جديداً ، بيتاً متيناً وحديقة في ستراتفورد ، لكن ظل مقيماً في لندن حتى سنة ١٥٩٩ و ١٦٠٤ .

وكان شكسبير هو نفسه يظهر ممثلا على المسرح قبل سنة ١٥٩٨ بصفة خاصة . في نحو سنة ١٦١٠ عاد

شكسبير الى ستراتفورد . ولم يكتب شيئاً بعد عام ١٦١٣ .

لم يشترك شكسبير في وظيفة حكومية او مدنية ومات في ٢٣ نيسان ١٦١٦ . لا ثمة سبب أن نرفضَ الرواية بأنه مات في حُمى ّ نشأت عن اسرافه في الشراب في ليلة أنس مع صديقيه : درايتون وبن جونسون .

أما أسرته ، فقد انقرضت .

حلم ليل من الصيف

كانت العادة في أثينا ، في القديم ، كما كان الامر في سواها ، أن ربّ العائلة هو الذي يقرر من يجب أن تتزوّج ابنته . وكانت ثمة شريعة تقول بـأنه اذا رفضت الفتاة ان تقبل بالزوج الذي اختير لها ، يستطيع ابوها ـ اذا أراد ـ أن يقتلها عقاباً على عصيانها .

والقصة التي نحن بصددها وقعت حوادثها في عهد دوق اثينا ، ثيسيوس ، وكان يستعد للزواج من هيبوليتا ، ملكة الامازون ، وكان في شغل شاغل من اعداد المراسم للاحتفال بالمناسبة السعيدة .

وبينما هو منهمك في أمره ، دخل عليه مواطـن أثيني طاعن بالسن يُدعى اجيوس ، شاكيا له ابنته هرميا . وقال انها ابت أن تقبل الزوج الذي اختاره لها — وهو شاب اسمه ديمتريوس — بحجة أنها لا تحبه ، بل انها تحب أثينياً آخر يُدعى ليزندر . وكان ليزندر يبادلها الحب . ولكنّ اجيوس لن يكسر كلمته — كما قال — فإمّا أن تتزوّج ديمتريوس ، وإما الموت كما تقضي الشريعة .

مع ان الدوق ذكّر هرميا بواجب الطاعة لوالدها ، فانها لم تخضع لمشيئته . لأنها تُحبُّ شابا غير ديمتروس ، ودافعت عن رأيها بأن ديمتريوس حاصل على حُبّ هيلانه صديقة هرميا . فليتزوج هيلانه ، ويدعها وشأنها .

ولمّا كان الدوق أرحمَ من ذلك القانون القاسي ،

حكم في تلك القضية : إمّا أن توافق هرميا على الزواج بديمتريوس وإمّا أن تقضي الباقي من عمرها حبيسة الدير بعيدة عن الاصدقاء والعالم الخارجي . وقد أُمهلت الفتاة أربعة أيّام — كانت فرصة استعداد الدوق لزواجه — لتعطي جوابها الأخير .

وهرباً من شعورها بالحزن من وطأة الحكم ، مضت الى حبيبها ليزندر تلتمس منه مساعدة في محنتها وتعزية لقلبها الحزين . فوضعا معاً خطة للهرب من أبيها ومن قسوة الشريعة .

وكان لِليزندر عمّة غنيّة ، وهي أرملة ليس لها أولاد تسكن في مكان يبعد عشرين ميلا عن أثينا ، أبعد من أن تطاله الشرائع الأثينية . فقال ليزندر :

« يمكننا أن نمضي الى دارها ، ونتزوج هناك . فانسلي في غدٍ ليلاً من بيتِ أبيك وانطلقي صوب هذه الغابة المؤنسة التي تبعد ثلاثة أميال فقط ، حيث كنّا نلتقي هناك . في أيّام الحداثة ونلهو ما طاب لنا اللهو . فأني هناك التقيك .

وبينا كانا يعملان في وضع هذه الخطة ، كانت هيلانه معهما ، بصفتها صديقة حميمة لهرميا . واعترفا لها بالحيلة معاً اعتقاداً باخلاصها .

غير أن هيلانه ، بدلاً من كتمان السر في قلبها ، نقلته بغباوة الى ديمتريوس الذي كانت تحبه . وقد أقدمت على هذا الأمر على أمل أن يتبع ديمتريوس هرميا الى الغابة ، فتمضي هيلانه على أثره وتجده هناك .

واتفق ان الغابة التي عزم اولئك الاربعة على زيارتها ، كانت أحبّ ملاذ لشباب الجنّ والجنيّات الفاتنات حيث يقيمون أفراح لياليهم في ثناياها . لكن مرح الجنيّات ، أصيب في تلك الفترة بنكسة مؤسفة ، لأنّ خصاماً وقع بين ملكهم أوبرون وملكتهم تيتانيا ، ولهذا السبب تفرّقت الأرواح اللطيفة المرحة ولاذت هنا وهناك من الخوف . وكان سبب هذا الخصام إبدال طفل ذكر ، كانت الملكة قد اختطفته من مرضعته ، وكانت امه صديقة لتيتانيا توفيت والطفل رضيع . فاحتفظت به تيتانيا وربته ثمّ جعلته حاجباً لها . وكان اوبرون يريد الصبيّ لنفسه ، وتيتانيا تأبى عليه ذلك .

في الليل الذي كان موعداً للقاء المحبين في الغابة ،

اتفق ان التقى اوبرون وتيتانيا وحولها رهط من الجنيات ، فعاد الخصام بينهما من أجل الصبي .

ذهب كلّ التماس وكلّ سعي من اوبرون سُدى من أجل اقناع تيتانيا بالتنازل عن الصبي . واذ افترقا للمرة الثانية دون أن يتصالحا ، فكر اوبرون في خطة تعذّب تيتانيا وتحملها على طاعته .

وهكذا ، دعا اليه الشياطين المرحة المؤذية من مثل بوك أو روبن الصاحب ، وراح معهم يعابث القرويين السذج ، فيحوّل لبنهم حامضاً ، او ينزع عنه الزبدة ، أو يقلب كرسيّ امرأة عجوز قبلما تلقي بجسدها الواهي عليه . وفي آن كانت هذه الأرواح تخدم أوبرون وتحمل رسائله .

في ذات يوم دعا أُوبرون أحد هؤلاء الشياطين قائلاً :

« تعال يا بوك ! إبحث لي عن الزهرة التي تدعوها الفتيات « الحُبّ » في الكسل . إنّ عصير هذه الزهرة القرمزية اللون من شأنه — إن أصاب رموش عيون النائمين — أن يوقعهم في حب أول مخلوق يرونه لأوّل نظرة وهم ناهضون غفلة النوم . سألقي شيئاً من عصير هذه الزهرة على رموش زوجتي تيتانيا وهي نائمة . واول شيء تراه حال وهلة اليقظة تقع في حبّه ، ولو كان أسداً أو دُباً ، أو جحش حمار ، أو قرداً عابثاً . وقبلما أحلها من هذا السحر الذي أقدر عليه ساعة أشاء أُجبرها على أن تعطيني الصبي ليكون لي حاجباً .

إنطلق بوك حالاً في طلب الزهرة ، لأن هذه

هي الخدمة التي تطيب له تأديتها . وبينما أُبرون كان لا يزال منتظراً عودته ، دخل الغابة ديمتريوس للبحث عن هرميا ، وهلانه أيضاً وصلت الى هناك ساعية على أثرِ ديمتريوس . وكان أُبرون قادراً أن يخفي نفسه عن عيون الناس الذين يخضعون لسنة الموت في الدنيا ، فراح يراقبهما مصغياً الى حديثهما . فسمع ديمتريوس يوبّخ هيلانه على اللحاق به قائلاً :

« اني لا أحبّك ! فلماذا تتبعيني ؟ »

« اذهبي من هنا ! ولا تلحقي بي أبداً ! »

فكانت هيلانه تخاطبه بنغمة رقيقة مذكرة اياه أنه كان يحبها في الماضي ، وانها مع ما تلقى من جفائه ، لا تزال محبة له ، تشعر بأن قلبها يدعوها الى اللحاق به أينما مضى ، شاء هو أم أبى . فنفر ديمتريوس من غضب

واندفع في جوف الهشيم والعليق معتقداً بأنها لا تقدر على اتباعه . غير أنها ، غالبت الأشواك والهشيم ولحقت به .

فلمّا رآها أوبرون قد توارت في الغابة الكثيفة ، غلبته شفقة على شقائها ، وعزم على مساعدتها . فقرر أن يستعمل سحر الحب نفسه الذي ارسل بوك في طلبه ليجعل ديمتريوس متيّماً بحب هيلانه .

فلمّا عاد بوك بذاك السحر قال له : « إسعَ إلى قلب هذهِ الغيضة : ثمة فتاة أثينية عذبة متيّمة بحب شاب ينفر منها . امسح بالسحر عينيه بحيث أنّ اول شيء يراه يكون تلك الفتاة . لسوف تعرف الشاب بالرداء الأثيني الذي يرتدية .»

ومضى بوك لتأدية هذه الخدمة الجديدة ، لكنّ أبرون وقد احتفظ بشيء من ماء زهرة الحب عاد يسعى في طلب تيتانيا . وخفيةً عن نظرها رآها توزع على توابعها من الجنيات أعمالهن الليلية . فكان على فريق منهن أن يجمع أجنحة الخفافيش ويصنع للجن منها دوامر ، وعلى فريق ثان أن يتولىّ قتل الحشرات التي تأكل أوراق زهر الورد ؛ وعلى ثالث أن يقف حرساً على البوم فلا يصوّت بينما تيتانيا مستسلمة لنوم هانىء ، وعلى سائر التوابع أن يبقين حولها يغنين لها باصوات ناعمة لتنام .

ولمّا غرقت في بحر النوم ، تقدم أوبرون برفق وعصر الزهرة على رموشها الطويلة قائلاً : « أي شيء او مخلوق ترينه عندما تستفيقين من النوم ، أحببه محبة حقيقية . »

وبعد ما نفذ خطته هذه تركها ومضى .

لكن ، ما حدَث في هذا الوقت الطويل لهرميا وليزندر ؟ — كانت خطتهما أن يلتقيا في هذه الغابة التي قصدها ديمتريوس وهيلانه .

وصلت هرميا الى الغابة كما حصل الاتفاق ، وهناك التقت ليزندر ، لكي يمضي بها الى دار عمته . غير أنهما ضلاّ الطريق في جوف تلك الغابة . وهرميا أدركها التعب فلم تقدر على المشي . فاستلقت على متكأ من الطحلب الناعم ، واستلقى ليزندر على الثرى ، بعيداً عنها قليلاً . وكلٌّ منهما أغفى للحال .

واتفق أن بوك مرّ في هذا المكان ، وفي نفسه

(١)

رغبة في انفاذ أمر سيده ، فرآهما ، نائمين متباعدين ، ورأى الشاب في رداء أثيني ، والفتاة أيضاً أثينية كما وصف أوبرون ، فاعتقد بانهما اللذان يريدهما سيده ، وحكم على ذلك بتباعدهما . فعصر بخفة ماء الزهرة على رموش ليزندر وانطلق مسرعاً .

فلو وقعت عينا ليزندر ، حال يقظته على هرميا لزاده الماء الساحر حباً لها على حب . ولهام بها حتى الجنون .

لكن ، بينما كان الاثنان مستسلمين للنوم ، اتفق أن مرت هيلانه في ذلك المكان ، وقد نهكها التعب من السعي وراء ديمتريوس . فاستلقت على صعيد معشوشب من الارض غير بعيدة عن ليزندر ، وكان ظلام فلم تره .

وهكذا ، اتفق أنّ اوّل نظرة منه على أثر اليقظة وقعت عليها . فاذا السحر ينسيه حبه لهرميا ، وللحال يقف حُبّه على هيلانه بدلاً منها .

لكن ، لمّا راح يخاطبها بنغمة الهيام والحنان ، اعتقدت المسكينة بأنه يسخر منها ، لعلمها أنه متيّم بهرميا لا بها . فقد جرح شعورها وأحست أنها مبتذلة لظنها أنه يحتقرها ، فهربت من امامه وانطلقت بعيداً . فاسرع وراءَها تاركاً هرميا وحدها .

واستيقظت هرميا ، بعد هنيهة ، مرتعدة من حلم مخيف ، والتفتت جهة ليزندر ... — يمكنك أن تتصوّر ، عندئذٍ ، ما كانت عليه من الدهشة والحزن ، — حين التمست حبيبها فلم ترَه . فراحت تتجوّل ، يائسة ، في

الغابة تفتش عن ليزندر وتنادي باسمه ، لكن عبثاً تفعل . وهكذا ، في هذه الفترة من قصتنا ، نرى المحبين الأربعة قد تفرقوا في مختلف أنحاء الغابة ـ هيلانة تسعى بيأس وراء ديمتريوس ، وليزندر لاهفاً يركض وراء هيلانه ، وهرميا بحرقة تنادي ليزندر

وسنتركهم هناك فترة من الوقت ، لنعود الى قصة الجن . لمّا استيقظت تيتانيا ، ملكة الجن عند الفجر ، ما كان أغرب الشيء الذي وقعت عليه عيناها اول اليقظة ! ـ كان شيئاً أشبه ما يكون بالحمار ، أصبحت مليكة الجن متيّمة بحبه بفعل السحر الذي ألقي على رموشها .

من أين أتى هذا الشيء الغريب ؟

ـ اتفق أنه منذ أيام قليلة مضت ، أن بعض الشغيلة السذج في المدينة كانوا قد أعدوا شكلاً من دمية ليقوموا بحركة تمثيلية أمام الدوق ثيسيوس لمناسبة زواجه . كانت هذه الفرقة من الشغيلة مؤلفة من سنكري ، وخيّاط ، وحائك ، ونجار وسواهم من أهل الصناعة ـ كانوا قد قصدوا هذه الغابة غدوةً لمراجعة الأدوار التي سيمثلونها . وليسوا ـ كما يجب أن نتوقع ـ غير ممثلين مساكين فنياً ، مع ذلك ، اتخذوا خطة جديّة بمسلكهم وبتمثيلهم . واتفق مرور بوك بهم ، وهم منهمكون بالتمثيل . وبحسب تعليمات أوبرون ، رأى الشيطان اللطيف أن يلعب لعبته عليهم . وكان على رأس الغليظين منهم ، بوتوم الحائك ، لبس قناعاً شبيهاً برأس حمار . ولكي يثير الفزع بهذه اللعبة السحرية ، جعل رفاقه يلتبسون الأطراف

والحوافر . فكانت هذه الاضحوكة ، البعيدة كل البعد عن عالم الجن اول ما وقعت عليه عينا تيتانيا على أثر يقظتها .

هكذا انتقم اوبرون من تيتانيا بـأن أوقعها في حب حمار . فجعلت بوتوم يغني لهـا . وإذا باغانيه الناشزة تبدو لهـا أعذب من كل نغم موقع . وراحت تأمر جنياتها أن ينطلقن بعيـداً ويأتينه بشهد العسل وكبوش العليق ، وأن يؤدينَ له الطاعة في كل ما يريد . بيديها الناعمتين ، صنعت عقداً رائعاً من زهور البرية زينت به رأسه الحيواني ، وأخذت تدلله ، وتغني له أغـاني النوم ، ليكون نومه ممتعاً .

وبينما هي مأخوذة بهـذا المخلوق السخيف ، أتى أوبرون وراح يؤنبها على هذا المسلك الناشز الذي لا يليق

بجنية . فانكسرت نفسها وخجلت . وفي الحال ، أرجعت اليه الولد الذي كان سبباً لذاك الخصام .

ولمّا نال اوبرون غايته ، عمـد الى عشبة يعرف سرّها فازال بها السحر عن عيني تيتانيا . عندئذٍ بـدا لها بوتوم – حقيقةً – شيئاً لا قيمة له ، كما كان قبلما رأت فيه شيئاً غريباً محبوباً . ثُمّ تركت عصبةُ الجـن ذلك المسكين ليأخذ طريقه نحو سائر الرفقة ، مروّعاً بما اتفق له من شبه حلم غريب ومغامرة لم تكن بالحسبان .

ولنعد الآن الى مغامرة المحبين من ابناء الناس . هنا أيضاً ، حصلت غلطة تحتاج الى معالجة . فقد تذكرنا أن بوك ، كان قد ألقى خطأ ماءَ الحب على عيني ليزندر فتحوّل حُبّه عن هرميا الى هيلانه . أوبرون يريد هذا

السحر أن يلقى على ديمتريوس ليعود الى حب هيلانه .

في هذا الوقت كانت هرميا ساعية في البحث عن ليزندرها الضائع ، فالتقت ديمتريوس ، وسمعها أوبرون تشكو لديمتريوس هذا بمرارة ما حدث لها مع ليزندر ، وتدعوه أن يعيد ليزندر اليها . ولمّا كان ديمتريوس ، لا يدري ما عسى أن يصنع من أجلها في تلك الحال ، تركها وحدها تبحث عن ضالتها .

وإذ كان أوبرون قاصداً أن يسوّي قضية المحبين، أرسل بوك وراء هيلانه ليسوقها الى حيث يطلب ديمتريوس النوم ، فالقى ماء الحب الساحر على رموش ديميريوس ، كما كان عليه أن يفعل ، حتى اذا استيقظ فوقعت عيناه اول الأمر على هيلانه ، هام بها على الأثر . بهذه الواسطة

تسوّى امـور المحبين الاربعة . ليزندر وهرميا ، ثمّ ديمتريوس وهيلانه فتسري الأمور في أحسن وجه .

غير أنّ هذه النهاية السعيدة لم يقدر لها النجاح أول الأمر . فبدلاً من حصولها ، حصل ارتباك وتشويش . لأن ليزندر ـ كما نذكر ـ أوقعه السحر بغتة في حب هيلانه ، واستمرّ يشكو حُبّه لها ، وهي لا تصدقه . فقد بدا لها أنه يتظاهر بحبّها مازحاً . حتى ساقهما الحظ الى النقطة التي كان فيها ديمتريوس وهرميا نائمين ، ومَن كان على ديمتريوس أن ينظر اليه أوّلاً غير هيلانه ؟ وهكذا ، هو أيضاً ، بفعل السحر طفق يناديها بعبارات الحب العابد ، وهيلانه ، المروّعة ، التي كانت ترى نفسها غير مقصودة بنداء الحب من أيّ واحد منهما ، اعتقدت أن كُلاً منهما كان يسخر منها . فراحت تحتج

باكية دامعة :

« يا للنكاية ! يا للجحيم !

الكلُ يتآزر عليّ للسخر مني !

لو كنتما متمدنين وعندكما رحمة

لما آذيتماني هذا الأذى ،

لو كنتما رجلين ، كما يجب أن يكون الرجال ،

لما عاملتما فتاة رقيقة ، مثل هذه المعاملة !

تقطعان العهود ! وتقسمان الأقسام ! وتبالغان

بمدح جمالي ، وانا على يقين أنكما تكرهاني في

قلبيكما . »

وزاد الطين بلة وصول هرميا ، وكُلٌّ منهما كان يهواها والآن ، لا يحبها أحد . فأخذت تتساءل لِمَ تركها ليزندر وحيدة ؟

ولمّا أجابها ليزندر جواباً جافياً ، ومال ديمتريوس عنها متباعداً ، اعتقدت هيلانه ان الثلاثة متفقين على السخر منها . بينما راحت هرميا تحمّل هيلانه تبعة اختلاس حبيبها منها .

وبينما كان الخصام ناشباً بحدّة بين الفتاتين ، أخذ ليزندر وديمتريوس يؤيدان بكلماتها جانب هيلانه ويبديان عطفاً عليها .

أخيراً كان على أوبرون أن يتدبر وسيلة تؤدي الى نهاية سعيدة . فدعا بوك اليه وأمره أن يبقي ليزندر وديمتريوس بعيدين عن الاصطدام والقتال . وذلك ، أن ينسج ضباباً كثيفاً ، مقلّداً صوت كُلٍّ منهما بالدور حتى يتراشقا قدحاً وذماً ، ولا يتمكن واحدهما من

ادراك الآخر بسبب كثافة الضباب .

« اصنع ما قلت لك » ـ قال أوبرون ذلك ـ « حتى يتمزّقا من الغيظ . وحين يدركهما التعب وينامان ألقِ ماء هذه الزهرة المختلفة عن تلك على رموش عيني ليزندو . فان هذا الماء يعيد اليه حبه لهرميا ، بينما ديمتريوس يبقى محافظاً على حبه لهيلانه .»

هكذا ، أزال بوك السحر المؤذي عن عيني ليزندر ، وساق المحبين في الغابة ، ودون أن يعرف الواحد منهم ما حدث للآخر ، وجدوا نائمين في نقطة واحدة غير متباعدين كثيراً .

وأوّل من استيقظ منهم ، كانت هرميا . فلمّا

رأت ليزندرها نائماً قربها ، أخذها العجب من تركه اياها في ذلك الاسلوب الجافي ، ومن عودته ثانية اليها . وهل يمكن أن يكون حبه لها قد تلاشى ؟

ولمّا استيقظ ليزندر ، عاد الى نفسه والى حبه القديم . وعاد هو وهرميا يتحدثان عن ذلك الليل ومغامراته الغريبة ، وقد انتهى وكأنه حلم مزعج .

وهيلانه كذلك ، كانت نهاية ليلها سعيدة . فقد استيقظت لتجد حُب ديمتريوس لها حُباً صحيحاً ، لا تظاهراً ، وهكذا ، فانّ حبّها الطويل المدى ، لم يذهب سُدى .

وعادت هرميا وهيلانه أيضاً صديقتين ، لأن سبب

خصامهما زال من الوجود .

غير أنّ جداراً لا يزال قائمـــاً في طريق سعادة اولئك الأحبة ؛ هو أمر أجيوس : إما أن ترضى هرميا بأن يكون ديمتريوس زوجاً لها وإمّا الموت .

وبينما كانوا آخذين في التفكير في ما يصنعون ، في هذه القضية ، دخـل الدوق ثيسيوس وملكته ، غاديين الى الصيد في مطلع الفجر ، وكان اجيوس في الحاشية ، وقد ساقتهم الأقدار الى هناك

ممّا لا شكّ فيــه أن الدوق أراد أن يعرف لِمَ اجتمعوا في الغابة في ذلك الصباح الباكر .

فروى له ليزندر كيف اتفق هـــو وهرميا على أن

يلتقيا هناك ليهربا معاً من أثينا ومن قانونها الجائر .

فلمّا سمع اجيوس الشيخ هذا الاعتراف . احتجّ عليه ، قائلاً : « اني التمس تنفيذ القانون ، القانون فوق رأسه .» ثم خاطب ديمتريوس :

« أرادا أن يهربا بعيـــداً ، هل يستطيعان يا ديمتريوس ؟»

« بذلك ليخذلانا معاً أنت وأنا »

فجُنّ جنون ديمتريوس لهذا الكلام ، واوضح أمام الكل أنه لا يريد بعد اليوم هرميا زوجةً له ، بل هيلانه هي التي يريد .

واذ وجـــد الدوق ثيسيوس أن كُلّ اثنين من الاحبة في تمام الاتفاق على الزواج ، أجــبر أجيوس أن

يبطل قراره . وعيّن موعد عرس هؤلاء الاحبة في يوم زواجه .

واشترك أوبرون على طريقة الجن في الأفراح العامة .

وانتهت متاعب ليل من الصيف ، بالحب والسعادة .

ملاحظات على مسرحية

حلم ليل من الصيف

دعيت هذه الرواية بهذا الاسم ، لا لانها حدثت في منتصف ليل من الصيف ، او لأنها انتجت في هذا الموعد (٢٤ حزيران مثلاً) . بل نظراً للاشياء الغريبة التي حدثت اذ الارواح في سرحة وما فوق الطبيعة أقرب ما يكون الى النفوس . والاحداث المبنية عليها الرواية لها صفات الاحلام التي لا تتحقق .

حيكت قصة الرواية من ثلاثة فروع ألفت جميعاً القصة . هناك ثيسيوس وهيبوليتا لقصتهما تنضم الفروع

كلّها . الفروع مختلفة متفرقة وجمعها يقتضي عبقرية وبراعة . واذ تم توقفنا على تنوع غني . فالمشهد **الاول** يقدم « العمل المغلق » والانتاج على الفكرة الرئيسية او قصة الحب . ويعرّفنا على مميزات المعضلة الرئيسية ، وقبلما ينتهي نستعد للمشهد الثاني : الفرار الى الغابة . السطور الاولى تتحدث عن زواج ثيسيوس القريب وتبقى هذه النقطة واضحة ومنتظرة حتى آخر الرواية . ليس هو العقدة بل نقطة الانطلاق ثم الالتقاء . من أجل زواجه يأتي اوبرون وتيتانيا من الشرق والشغيلة يعدون لعبتهم . وعليه هو أن يعطي حكمه في وضع هرميا من ليزندر او ديمتريوس . وهكذا انطلقت الرواية انطلاقاً طبيعياً وراحت أحداثها تتصاعد وفروعها تتشابك وتتعقد . والمشهد الثاني قويّ في جوّه وحالته وتعبيره الجافي اذ

يدخل شكسبير الشغيلة في الاستعداد للعرس ويجعل مسرحهم الغابة أيضاً وكل صناعي يقوم بعمله في اعـداد اللعبة الغريبة .

في الفصل الثاني – **المشهد** الاول تتراءى العقدة بسيطة اول الامر ؛ لكن لا تلبث أن تتشابك حين يأخذ أوبرن – عن نيّة طيبة – على عاتقه مساعدة هيلانة من خلال مهام الجن وذلك لاسعاد المحبين . فاستخدم مـاء الحب لاخضاع زوجه تيتانيا ، ولتسهيل أمر المحبين من الانس من جانب آخر . فلم تتفق الاحوال فيما يتعلق بالمحبين وقام ارتباك بما اتفق لبوك خادمه أن يخطىء .

وبوك هذا عند اوبرون ملك الجن أشبه ما يكون بآريال عند بروسبيرو في الجزيرة .

فتحصل من تدخله أحداث مسرحية مضحكة مؤسفة في آن معاً ، فيتحوّل ديمتريوس الى هيلانة بالماء الساحر وكذلك يتفق ان يتحول اليها ليزندر فاذا هي شاكية اذ تحسب الجد سخرية وهرميا شقية تتبع ليزندر ويهرب منها .

والشعبة الأخرى من الرواية ، ترينا سخرية القدر حبَ تيتانيا للكائن العجيب . فاذا تم لاوبرون ما شاء من توبيخها واخضاعها لارادته وقدمت له الغلام الذي كانت قد ضنت به عليه عاد الصفاء لعصبة الجن في الغابة . وبقي مفقوداً عند عصبة الانس وقد بلغ حدّه من الارتباك والتعقيد .

وهنا ينقلب وجه القصة فيجري اوبرون اصلاحاً يامر بوك بتنفيذه فاذا ديمتريوس يحب هيلانة ، ويعود

ليزندر الى حب هرميا . فاذا الارتباك والنشاز أشبه ما يكون بالموسيقى يعود بعد التنظيم حسن الانسياب جميل الوقع . حسب اوبرون ان تصفو نفسه ليعيد التصافي بين النفوس جميعاً .

فاذا عاد ثيسيوس الى مسرح الرواية على رأس حاشية فيها والد هرميا والعروس . وقعت الانظار على المحبين الهاربين ، وكانت المصالحة وقامت الأفراح في عالم الانس على مختلف طبقاته وفي عالم الجن كذلك .

واجاد شكسبير في نظم أغاني الجن الراقصة ، وشعر الغزل اللطيف . واذا النفس ترتاح الى كوميديا لطيفة لعب الخيال فيها لعبة بارعة ، والفكر أبدع في خلق الادوار والوظائف ، وأحسن العقل تركيزها وتوجيهها

بعد تشعث وارتباك .

ملاحظات عامة :

لا شك في أن هذه المسرحية من نوع الكوميديا ، غير أن لها شخصية خاصة قائمة بنفسها لا سابق لها ولا لاحق . ملهاة في هيكل قصة جن لا يجمع الضفتين اسم واحد . تحتوي على أربعة عناصر من الانس ثيسيوس وهيبوليتا ، والمحبين الاربعة ، والعنصر الغريب من عالم الجن . وقد استطاع شكسبير ان يوفق بين العناصر المتشابكة المتضاربة الصاعدة في فوضاها الناشزة ، فاذا العقد تنحل واحدة واحدة حتى تنتهي في استقرار سعيد .

شعرها – كما يقول نقاد شكسبير – موسيقى حسنة التمويج ، حتى لتكاد تؤلف قصة موسيقية تامة .

قال ج. مايكل : ان هذه المسرحية أقرب الى الشعر الغنائي منها الى مسرحية مشهورة بالمعنى الصحيح للكلمة .

أمّا اشخاصها فلكل صفاته المميزة الظاهرة . فماثيسيوس وهيبوليتا ، كما يقول هزليت غير نوع من الاولاد بتفكير واضح وحياة واقعية . **هبوليتا** امرأة حساسة من الطبقة الاولى بكل الصفات الطبيعية للسيدة المحترمة . والملك **ثيسيوس** هو الملك الواضح في نور النهار هو واقع في الحب ، وحبه من نوع لا غرابة فيه ولا زخرفة . ليله كما يعتقد تمرح فيه أطياف الجن في أمواج السعادة . يؤمن بالقانون الأثيني ويحاول تطبيقه مع شعوره بقسوته .

أما **المحبون الاربعة** فما أندر أن يكون لهم

أشباه في دنيانا . ليزندر أقرب الرجلين الى النفس . وخشونة ديمتريوس هي من بيئته . وثمة فرق بين هرميا وهيلانه ، الاولى رقيقة حساسة لا تخلو من فطنة ، والثانية تغلب عليها الثرثرة تستعير لتكوين ذاتها .

أما الجن فحين يتحدث أوبرون يستعد كوبيد (اله الحب) بسلاحه . اي أنه يتجند لمعركة القلوب . « هو القادر ان يرى ويسمع اي موسيقى تبعثها النجوم من أبراجها ، عندئذٍ نحس بأن لا اناء يبقى خالياً من الشعور . » اول ما نصغي الى هذا الكلام نقول انه الشعر . فان ذُكِرَ الزهر نحس كأن الزهر يتهامس : حتى تيتانيا وهي تخاطب بوتوم اللعبة المسخ تقول :

« أنا روح ، لا قدر لي عند العامة
لا يزال الصيف ينحني في دارتي »

اذا شئنا أن نقول كلمتنا في التعبير ، لا بُدّ من إيضاح ما مرّ من أقوال أهل النقد المسرحي في شكسبير بما يختص بهذه المسرحية .

•

اسلوب حيّ ، متقطع أحياناً ، منسجم أحياناً أخرى تبعاً للغنائية الباسطة ظلالها على أجواء هـــذه المسرحيّة . فالوالد الغضوب يريد انفاذ القانون القاسي ، والابنة الرقيقة تثور باغاني الحب والحنان . والجن رقص وانغام وتغاريد ، والزهر همس وعطاء ساكن .

وبعده فما هذه المسرحية الاّ حلم عذب من احلام الصيف .



حلم ليلة من الصيف